



عين الدارس الحاضر على إنتاج الماضي الغابر الحماسة البصريّة وفلسفة الاختيار

محمد ماجد الدّخيل
جامعة البلقاء التطبيقية
الأردن - إربد.

Mhamad_dakeel@yahoo.com

*Received: 05 Sept. 2015,
Revised: 01 Nov. 2013, Accepted: 30 Dec. 2015
Published online: 1 (January) 2016*

عين الدارس الحاضر على إنتاج الماضي الغابر الحماسة البصرية وفلسفة الاختيار

محمد ماجد الدخيل

جامعة البلقاء التطبيقية

إربد - الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على كتاب «الحماسة البصرية» لصاحبه «صدر الدين أبو الحسن علي بن أبي الفرج البصري» المتوفى عام (٦٥٩ هـ)، ومعرفة مستوى الاختيار فيه؛ قياساً لكتب الحماسة الأخرى التي سبقته، ومحاولين التعرف على مستوى هذه الحماسة في تراثنا الأدبي، والتعرف على جهد «البصري» وفلسفة اختياره.

وستقف عند مقدمة الحماسة البصرية، التي قدّمها مُحقق الحماسة «مختار الدين أحمد» معهد الدراسات الإسلامية جامعة كَرَه (الهند) سنة ١٩٦٤م، وستقدم إضاءة على صاحب البصرية للوقوف على واقع هذا الرجل.

وكذلك سأنقف بإيجاز عند المصادر العربية التي اعتمد عليها صاحب الحماسة عند اختياره، وستحاول بحول الله تعالى __ نقد أبواب الحماسة البصرية والوقوف عند كل باب على حده، ومحاولين التعليل والتفسير والنقد لهذه الأبواب.

وسأنفق رمز (ق)؛ ليدل على معنى قصيدة، كأن نقول مثلاً ق٥، فهي تعني قصيدة رقم (٥)، وكذلك رمز (ص) ونعني به صفحة، ورمز (ج) ويعني جزء.

وستقف عند القسم الأخير من الحماسة البصرية، الذي يتناول التقاريط التي قيلت بالمصنّف والمصنّف والإشارة إلى الجهد الذي بُذل في هذه الحماسة

الكلمات المفتاحية: الحماسة البصرية، فلسفة الاختيار، إنتاج الماضي القديم.



The Focus of the Researcher on the Ancient Production: Al-Hamasa Al-Basria and the Philosophy of Choice

Mohammad Majed Aldakeel

Albalqaa Applied University

Irbid - Jordan

Abstract

The purpose of study this Knowing the book Al-Hamasa Al-Basria written by Sader Al_ Deen Abu Al-Hassan Ali Bin Abi Al-Faraj Al-Basria, dead in (659H). The focus will be to know the level of selection in that book in comparison with previous books. In addition, Al-Hamasa level in our literary heritage and Al-Basaria's effort and his choice philosophy will be concern in this study.

Moreover, the introduction of the book which was written by Mukhtar Aldeen Ahmad from Islamic studies constitution in India in 1964 will be highlighted.

The sources which the writer depended on his book will be discussed along with criticizing each section of the book trying to intererete and criticized these sections.

The researcher will use (k)(ق) to refer to the Kaseeda. for axample: (k5)(ق5) which meane poem 5. Also (s)(ص) to refer to page and (ج)to refer to the part.

The final part which consists of the prumpets which were stated about the book and the writer will also be highlighted.

Keywords: Al-Hamasa Al-Basria, the Philosophy of Choice, Al-Basria, the ancient production poems.

عين الدارس الحاضر على إنتاج الماضي الغابر الحماسة البصرية وفلسفة الاختيار

محمد ماجد الدخيل

جامعة البلقاء التطبيقية

إربد - الأردن

الإسلامي إلى شعر مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كأبي حية النُميري والحسين بن مطير الأسدي (ت ٧٨٥م)، وإلى الشعراء العباسيين كمسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ)، وأبي العتاهية، وأبي نواس، دَعَبَل الخزاعي (ت ٢٢٠هـ)^١

ويبدو أن هذه الاختيارات قد راقت لمن جاءوا بعد أبي تمام فساروا على نهجه، وسنته في الاختيار والانتخاب والتأليف، ومن الملاحظ أن أبا تمام، قد اختار بعض النماذج ومقطعاته من أشعار النساء، فكان أولاً في هذا الاختيار حتى زمانه، "جعل أبو تمام كل مجموعة تشترك في غرض بعينه تحت العنوان الذي قيلت فيه، وهي الحماسة، المراثي، الأدب، النسب، الهجاء، الأضياف والمديح، السير والنعاس، الصفات، الملح، مذمة النساء. وأصبحت اختيارات الشعر بعد ذلك تقليداً عند كبار الشعراء والأدباء فأخذ كل من هؤلاء، يختار مجموعة من شعر الشعراء السابقين عليه زماناً، ويطلق عليها اسم "الحماسة"، فظهر بعد ذلك حماسة الباحثي (ت ٢٨٤هـ)، وحماسة الخالدين: أبي عثمان سعيد وأبي بكر محمد ابني هاشم الخالدي، وكانا شاعرين من شعراء سيف الدولة، وتُعرف حماستهما أيضاً باسم الأشباه والنظائر، وهناك الحماسة الشجرية

١ - كتب الحماسة في الأدب العربي القديم: تعدّ كتب الحماسة في الأدب العربي، من أشهر كتب الاختيارات ذات القيمة الأدبية والجمالية في تاريخ تراثنا الأدبي، وكتب الحماسة سلسلة بدأت بكتاب لأبي تمام (١٩٠هـ - ٢٣١هـ)، الذي أعطاها هذا الاسم، ثم توالى بعده بالاسم نفسه، وعلى منهجه نفسه مع بعض الفروق المتصلة بذوات المؤلفين أو الكتاب.

وكتاب الحماسة، هو مختارات شعرية ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، وجمع فيه مجموعة كبيرة من المقطوعات والقصائد القصيرة، ومن الأبيات المنتقيات من القصائد المطولة، وقد سُمي الكتاب باسم الباب الأول، وهو "الحماسة" على التغليب، وقياساً على كتب أخرى أطلق عليها اسم الباب الأول منها، ككتاب "العين" للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، والمقصود بالحماسة عند أبي تمام، كل ما يتصل بالشجاعة من إقدام وحمية وحث على الإقدام، وحث على تحمل المكاره^١

و"لم تكن المختارات قبل أبي تمام، تتجاوز الشعراء الإسلاميين، ولكنه في حماسته كسر هذا التقليد، ووسّع من دائرة اختياره، فهو لم يختار لشعراء مغمورين فحسب، بل تجاوز الشعر

١ - عطية، عبد الرحمن، مع المكتبة العربية - دراسة في أمهات المصادر والمراجع المتصلة بالتراث، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، د.ت.ص. ٢٦٤.

٢ - إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.ص. ٩٦.

توضح فلسفة الاختيار فيها، وهذا ما سيظهر لاحقاً في ثنايا البحث.

٢- الحماسة البصرية:

لم تتناول كتب التراث في الأدب العربي هذه الحماسة بشيء من التفسير والتوضيح العام، كما أنها لم تُدرس دراسة نقدية كاملة قديماً أو حديثاً، لهذا جاء الحديث عن الحماسة البصرية موجزاً ومقتضباً، بل تناولتها بعض الدراسات العربية تناولاً سريعاً، من خلال إشارات بسيطة وإنارات خفيفة، لكنها أكدت على مكانة هذه الحماسة في التراث الأدبي العربي القديم.

كما أن مصادر التراث العربي لم تتناول حياة مؤلف الحماسة البصرية بشيء من التفصيل، وكأنه واحد من الأدباء المغمورين في عصره، وهو لم يكن كذلك؛ لأنه عاش مع الأمراء والسلاطين الأيوبيين في قصورهم فترة من الزمن.

قال كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م) Karl Brokelman في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، معرفاً بالحماسة البصرية: "جمعها صدر الدين علي بن أبي الفرج البصري، وقدمها سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م إلى الملك الناصر أمير حلب".^٥

وجاء في كتاب "مع المكتبة العربية - دراسة في أمهات المصادر والمراجع المتصلة بالتراث-" لعبد الرحمن عطية قوله في الحماسة البصرية: "صنّف هذا الكتاب علي بن الفرج بن الحسن البصري المتوفى عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، وإلى نسبته البصرية نسبة الحماسة، وجاء جهد البصري في حماسته مكملًا لجهود سابقه في تأليف الحماسات مؤتسباً بشكل خاص بحماسة أبي تمام ثم بحماسة البحتري، وقد رتب مختاراته في أربعة عشر باباً معظمها يُشابه أبواب أبي تمام، وهي مصنفة على الأغراض، وقد اقتبس بعض مختارات سابقه في الحماسات وضمها حماسته، لقد جنح "البصري" إلى تخيير مقطوعات من روائع

لأبي السعادات هبة الله علي بن حمزه بن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢هـ، والحماسة المغربية التي جمعها يوسف بن محمد البياسي الأندلسي التونسي المتوفى سنة ٦٥٢هـ، والحماسة البصرية التي جمعها صدر الدين بن أبي الفرج ابن الحسين البصري المتوفى سنة ٦٥٩هـ وكان قد قدمها إلى الملك الناصر أمير حلب سنة ٦٤٧هـ".^٦

ويبدو أن قضية التغيير والتجديد والتحديث والتمييز قضية قديمة جديدة، فلم يُرقّ للبحثري، تلميذ أبي تمام، أن يسير على نهجه، بل حاول في حماسته أن يركز على المعاني الجزئية، أكثر من الأغراض الشعرية؛ لهذا جاءت حماسته، مشتملة على مائة وأربعة وسبعين باباً.

وأخذ ابن الشجري - مثلاً - في حماسته من أبي تمام ومن البحتري ونهج نهجهما في حماسيتهما، ولقد وسّع ابن الشجري أبواب كتابه، فربت على ما جاء عند أبي تمام، ولكنها كانت دون ما جاء عند البحتري، وجعل قسماً من هذه الأبواب للأغراض، كما فعل أبو تمام، وجعل قسماً آخر للمعاني الجزئية المنفرعة عن بعض الأغراض الكبرى، كما فعل البحتري وكان اختياره، ينصب بمعظمه على شعر الشعراء المجيدين المقلين".^٧

وليس غريباً في أن ثاني اختيارات شعرائنا وأدبائنا، من شعر الشعراء المجيدين المقلين؛ لأن ما اختير من هذه القصائد، إنما جاءت؛ لتعبّر عن موقف أو تجربة إنسانية عامّة أو خاصّة فيها الفائدة والمتعة الفنية التي تصقل الأذواق، وترهف المشاعر، لهذه الاختيارات على مستور رفيع بشكل عام، من حيث الأصالة المبدعة، والصياغة الفنية المتلاحمة في معظم القصائد والمقطعات المنتقاة من كتب الحماسة في تراثنا الأدبي الخالد.

والذي يعيننا في هذا البحث، ما يتعلّق بالحماسة البصرية للتعرف على مستوى الاختيار فيها، وأبوابها، ودراستها دراسة نقدية هادفة

٥- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف المصرية، القاهرة، د.ت، ط١- ط٢، ص٨٢.

٦- الشكعة، مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء والعرب، دار العالم للملايين، بيروت، د.ت، ص٤٨١-٤٨٢.

٧- المرجع السابق، ص٢٦٨.

لمختاراته الشعرية تشير إلى ذوق صاحبها، وتؤكد قدرته في الانتخاب والاختيار، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، نجده يشير إلى أهمية المجاميع الشعرية فقال: "لما كانت المجاميع الشعرية صقال الأذهان ولأنواع المعاني كالترجمان وكان مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين... - أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز بن الملك الظاهر... لهجا بأشعار العرب التي هي ديوان الأدب، توخيت في تحرير مجموع محتو على قلائد أشعارهم وغرر أخبارهم مجتنباً للإطالة والإطناب بما تضمنته أبواب الكتاب"^٦

ومن خلال القول السابق نلمح إن صاحب الحماسة البصرية قد صنّف هذه الحماسة إلى الملك الناصر صلاح الدنيا والدين "أبو المظفر" يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر ولد ٦٢٧- وقُتل سنة ٦٥٩^٦

ومن يؤلف للملك لا بُدَّ أن يكون على قدر كبير من الثقافة والبصيرة النافذة، والقدرة على النقد والاختيار والانتخاب؛ ليقدم الأفضل على كل حال. ولهذا صرح صاحب الحماسة في مقدمته، أنه قد توخى في مجموعته أن يكون محتوياً على غرر الأخبار وقلائد الأشعار محتزراً الإطالة والإطناب والإسهاب - كما تقدّم سابقاً - .

وقد التزم المُصنّف بذلك، ولهذا فإن الدارس الحالي لهذه الحماسة لا يجدها مشتملة على قصائد طوال، بل إن أكثر مقطعاتها لا تتجاوز العشرة أبيات إلا في القليل النادر منها، وأظن أن صاحب الحماسة كان مُحققاً في ذلك؛ لأنه يؤلف للملك، ولهذا جاءت مقطوعاته من القصار؛ لتجد القبول والرضا عند الملك الناصر "أبو المظفر".

والمُصنّف في مقدمته القصيرة يطري على حماسة الأشباه والنظائر للخالدين ويمدحها، المحتوية على دُرر النظام وجواهر الكلام، لكنه سرعان ما ينتقد الخالدين بأنهما قد وقعا في بعض

٦- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج١، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص١-٢.
١٠- المرجع السابق، ص١٠.

الشعر الجاهلي والإسلامي، وكان يسوق مع بعض المقطوعات بعض الأخبار المتصلة بها، كما أثبت بعض المناسبات التي قيلت فيها، وهذا يساعد على جلاء معاني تلك المقطوعات... وكان البصري قد صنّفها للملك الناصر حفيد الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ) صاحب حلب، وطبعت الحماسة البصرية بتحقيق مختار الدين أحمد في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند عام ١٩٦٤ في جزئين^٦

لقد أشارت بعض المصادر إلى ضخامة الحماسة البصرية، وقيل إنها أضخم حماسة وجدت حتى تاريخها، بل هي أضخم حماسة عربية على الإطلاق، بعد حماسة العبيدي التي تُسمى بالذاكرة السعدية في الأشعار العربية لجامعها محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي حيث انتهت من جمعها سنة ٧٠٢ هـ^٧

وقال المظنون، قبل ظهور التذكرة السعدية، إن الحماسة البصرية هي أضخم الحماسات على الإطلاق، حيث إنني أحصيت عدد مقطوعاتها جميعاً فكانت (١١٦١) مقطوعة مختارة من أجمل القصائد في الأدب العربي، لكن تبين أن حماسة العبيدي تفوقها في هذا العدد كثيراً، حيث تطوي على ما يقرب من (١٧١٠) قصيدة ومقطعة، بعضها يتميز بالطول النسبي، "إن كتب الاختيار - بشكل عام - لا تقوم على أسس نقدية صريحة، بل تعتمد على ذوق صاحبها، وذوقه يرتد إلى "مسبقات" ضمنية توجهه في أخذ ما يثبته، وترك ما ينفيه"^٨

٣- مقدمة صاحب الحماسة البصرية :

قدّم صاحب الحماسة البصرية - علي بن الفرج بن الحسن البصري بمقدمة قصيرة

٦- عطية، عبد الرحمن، مع المكتبة العربية - دراسة في أمهات المصادر والمراجع المتصلة بالتراث، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، د.ت. ص٢٧٠-٢٧١.

٧- إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ١٢٤-١٢٨.

٨- عباس، احسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، عمان، ١٩٩٢ م، ص٢٨.

عام ٦٥٩هـ، وإلى نسبته البصريّة نسبت حماسته، وكل المصادر والمراجع لا تُشير إلى تاريخ ولادته، ولكنها تركز على تاريخ وفاته، ولا تذكر عنه شيئاً ذا بال، وهذا ما أشار إليه محقق الحماسة البصرية عند حديثه عنه في مقدمة الكتاب:

”لقد أشار ”مختار الدين أحمد“ محقق الحماسة المذكورة، أن صاحبنا مجهول منكر، إلى حد قد خلت جميع كتب التراجم والتاريخ من بيان أحواله وترجمته، وإن علماء التراجم والمؤرخين قد ثبّتوا أحوال رجال ما كانوا ذوي أهمية خاصة... وإن صاحبنا قد كان ذا وجهة بنفسه، وكان ممن تولى تربيته ونشأته ملوك وأمراء.... وكانت له معهم علاقات وروابط حميمة مثل: أبو المظفر يوسف أمير حلب، والمملك الناصر داود بن عيسى... ومؤيد الدين إبراهيم ابن القفطي وكان وزيراً....“^{١٣}

إن معظم المؤرخين لهذه الفترة الزمنية، التي عاش فيها صاحب الحماسة البصرية لم يُشيروا إلى صاحب الحماسة، على الرغم من أنه كان قريباً من الملوك والأمراء في زمنه، وأعتقد أن سبب ذلك هو الحسد والكرهية؛ بسبب قربه من الملوك والأمراء تارة، وقد يكون لتفوقه في مجال الأدب والفكر تارة أخرى، لهذا انصرف عنه المؤرخون في تلك الفترة.

وقال المحقق ”إن عصره المُصنّف هو العَصْر الذي كَتَبَ فيه مؤرخو الإسلام كَتَبَ التاريخ المشهورة، فإن في القرنين السادس والسابع الهجريين صُنِفَت الكتب التاريخية وأذيالها، ولكنهم جميعاً تخلو عن ذكر صاحبنا صدر الدين علي، وإن معاصريه لم يعتنوا به، بل الذين جاءوا من بعدهم لم يلتفتوا إليه كذلك، فهذا ابن خلكان من معاصريه، وابن العديم (ت ١٢٣٩هـ) من أصدقائه، وله تقرّيب على الحماسة البصرية، لم نجد عندهم ذكراً لصاحب الحماسة البصرية،

الأخطاء ورصد بعض الملحوظات على جهدهما، فقال البصري: ...غير أنهما قد نسبا فيها أشياء إلى غير قائلها ولم يقيدا الكتاب بترجمة أبواب، فغدت فرائده متبذرة النظام مستصعبة على الحفظ والإفهام...“^{١١}

ولهذا جاءت حماسه البصري موزعة على أربعة عشر باباً، وجاءت مقطعاتها قصاراً لتفهم وتحفظ، وبهذا يكون ”البصري“ قد طبّق مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وملائمة القول للمناسبة.

والدارس لمقدمة ”البصري“ القصيرة، يجده بعيد النظر، ثاقب الرؤيا، خبيراً بحقيقة الناقد، عارفاً لطبيعة النقد، وكأنه يعلم ما سيطراً على النقد فيما بعد؛ لذلك فهو يقدم بعض الأغراض الشعرية بعبارة موجزة مقتضبة، وقدم لها إضاءة لها تعرف في موقعها من الحماسة.

فهو- مثلاً - يُعرّف ببعض الأغراض الشعرية بقوله:فما وصف به الإنسان من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها سُمي حماسة وبسالة وما وصف به من حسب وكرم وطيب محتد سُمي مدحا وتقرّيباً وفخراً، وما اثنى عليه بشيء من ذلك ميتاً يُسمي رثاء وتأيينا، وما وصفت به أخلاقه المحمودة من حياء وعفة وإغضاء عن الفحشاء ومسامحة عن زلات الأخلاء سُمي أدباً، وما وصف به النساء من حسن وجمال وغرام بهن سُمي غزلاً ونسيباً.... وما وصفت به الأشياء على اختلاف أجناسها وأنواعها يُسمي نعتاً ووصفاً وملحاً، وما ذكر به الإنابة إلى الله تعالى ورفض الدنيا سُمي زهداً [وعظة] والله أعلم...“^{١٢}

وهكذا يظهر لنا أن صاحب الحماسة البصرية، بالإضافة إلى حسن اختياره وانتقائه، فإنه عالم بالفنون الشعرية، خبير بها.

٤- إضاءة حول صاحب الحماسة البصرية :

من هو صاحب الحماسة البصرية ؟

إنه علي بن الفرّج بن الحسن البصري المتوفى

١٢- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرّج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج١، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص٢١.

١١- المرجع السابق، ص٢.

١٢- المرجع السابق، ص٢-٢.

اختياراته على مجموعة من المصادر التي استقى منها مقطعاته الشعرية.

وفي المقدمة القصيرة التي قدم بها المصنّف حماسته، صرّح، وبشكل واضح، أنه قد اعتمد على مصنفات من سبقه في هذا المضمار، وقد أشار في مقدّمته، إلى تلك المصادر التي اعتمد عليها فقال: ".....توخيتُ في تحرير مجموع محتو على قلائد أشعارهم، وغرر أخبارهم مجتنباً للإطالة والإطناب بما تضمنته أبواب الكتاب، كأمالى العلماء وحماسات الأدباء، ودواوين الشعراء، من فحول المحدثين والقدماء ومختارات الفضلاء كأشباه الخالدين المحتوية على دُرر النظام وجواهر الكلام...."^{١٦}

وصرّح صاحب الحماسة البصرية أنه قد اعتمد في اختياره على كتب الحماسة التي سبقته، كحماسة أبي تمام وحماسة البحتري التي تعدّ من أشهر كتب الحماسات في تراثنا العربي، وكذلك نجده صرّح أنه اعتمد في اختياره على كتاب "الأشباه والنظائر" للخالدين، وهذا الكتاب اعتمد عليه كثيراً عند اختياره.

والدارس للحماسة البصرية يجد أن صاحبها قد اعتمد بالدرجة الأولى على حماسة أبي تمام؛ لأن العديد من المقطعات موجودة في حماسة أبي تمام، وإن كتاب "الأشباه والنظائر"، يأتي في الدرجة الثانية بعد حماستي أبي تمام والبحتري. "إن أبا تمام كان يختار الشعر الذي يروقه، دونما اعتبار لمدى شهرة صاحبه، وأنه لم يشأ أن يعرض على الناس ما هو مشهور ومتداول بينهم، بل شاء أن يضع بين أيديهم نماذج جديدة من الشعر الرائع.... وقد أورد أبو تمام في مختاراته لشعراء مغمورين... وكأنما كانت غايته أن يدل على الشعر من حيث هو، أي بالنظر إلى قيمته الفنية ^{١٧}الصرف"

١٦- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٢. ١٧- إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ٩٣.

وهذا ابن إياس الحنفي (ت ٩٣٠ هـ) يذكر جميع أحوال عصر الملك الناصر الأخيرة من هجمة المغول على حلب، وقتل الملك وحاشيته، فأبسط فيها حتى إنه سرد أسماء قتلى أصحاب الملك من العلماء والشعراء، والذي لم يذكره فقط هو صاحبنا صدر الدين علي، وهذا السيوطي يذكر الحماسة البصرية، ويرجع إليها في تصنيفاته، لكن كتبه أيضاً لا تدل على شيء من أحواله"^{١٨}

وقال المحقق: "ليس عندنا علم من وقائع حياته السائرة. أما عن وفاته، فنقدر أن نقول إنه كان قتل مع من قتلوا مع الملك الناصر وحشمه، إذ هجم "هلاكو" على حلب سنة ٦٥٩ هـ.... أما سنة ولادته فلا نستطيع أن نعيها...."^{١٩}

وإذا كان صاحب الحماسة علماً مجهولاً مُنكرًا، إلى درجة الحقد والحسد والكرهية، فإن مختاره لم يكن كذلك، والدليل على ذلك أن المحقق قد أفرد جزءاً من الكتاب يشتمل على التقاريف لهذه الحماسة التي تجمع جميعها على حسن اختياره، وقدرته وذوقه العالي في الانتقاء والانتخاب.

وإذا كانت الحماسة تختار لجانب أخلاقي، كما هو الحال عند البحتري، أو لجانب جمالي، كما هو الحال عند أبي تمام - كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات - فإنني أقول إن حماسة البصري جمعت كليهما معاً، وبخاصة أن صاحب الحماسة البصرية قد نشأ عند الملوك والأمراء، وترعرع في قصورهم، وربّما كان معلماً ومُؤدباً لأبنائهم، بالتالي جاءت حماسته شاملة لكل الجوانب الأخلاقية والأدبية والفنية، ومن هنا جاءت شهرتها أكبر من شهرة صاحبها.

٥- مصادر الحماسة البصرية:

بما أن حماسة البصري هي مجموعة من المقطعات والمقطعات الشعرية ومن النماذج المنتقاة لعصور مختلفة ممتدة من العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي، فلا شك أن المصنّف قد اعتمد في

١٤- المرجع السابق، ص ٢١-٢٢.

١٥- المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

على حماسة أبي تمام بأربعة أبواب، وتقصت عن أبواب حماسة البحترى بكثير.

لقد اعتمدتُ في دراستي على الحماسة البصرية طبعة عالم الكتب - بيروت، وقدم لها "مختار الدين أحمد"، وهكذا الحماسة جاءت في جزئين مشتملين على أربعة عشر باباً هي على الترتيب:

- باب الحماسة، ويتضمن (٢٤٣) مقطوعة.
- باب المديح والتقريض، ويتضمن (١٩٨) مقطوعة.
- باب التأبين والثناء، ويشتمل على ١٨٤ مقطوعة.
- باب الأدب، وهو الباب الذي بدأ به الجزء الثاني من الحماسة، واشتمل على ٢١٨ مقطوعة.
- باب النسيب والغزل، واشتمل على ٣٤٨ مقطوعة.
- باب الأضياف، ويشتمل على ٤١ مقطوعة.
- باب ما قيل في الهجاء، ويشتمل على ١٥٣ مقطوعة.
- باب مذمة النساء، ويشتمل على ٢٨ مقطوعة.
- باب الصفات والنعوت، ويشتمل على ٦٠ مقطوعة.
- باب السير والنعاس، ويشتمل على ٣١ مقطوعة.
- باب الملح والمجون، ويشتمل على ٨٤ مقطوعة.
- باب ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم، ويشتمل على (١٠) عشر مقطوعات.
- باب ما جاء من ملح الترقيص، ويشتمل على (٩) تسع مقطوعات.
- باب الإنابة والزهد، ويشتمل على (٥٤) مقطوعة.
- لقد اشتملت أبواب الحماسة على (١٦٦١) مقطوعة.

والتأمل في حماسة البحترى والحماسة البصرية، فإنه يجد أن عدد أبواب الحماسة

وقد أكدت مقدمة الكتاب أن "البصري"، قد أفاد من ديوان "سلم الخاسر"، وإن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أحب المصنفين لدى صاحب البصريّة، وكان كتاب "الحيوان" "للجاحظ" من المصادر المهمة التي اعتمد عليها المصنف.

وتدل القرائن على أن البصري قد أخذ من مجموعة أخرى من الكتب بعض مقطعاته منها:^{١٨}

- مجموع المعاني.
- حماسة البحترى.
- الحماسة لابن الشجري.
- زهرة الآداب للبحترى.
- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب.
- معاني العسكري.

٦- أبواب الحماسة البصرية:

جاء جهد "علي بن الفرّج بن الحسن البصري" في الحماسة البصرية مكتملاً لجهد من سبقه من الشعراء والعلماء والمؤلفين والكتاب الأفاضل في تراثنا الأدبي: كأبي تمام، والبحترى والخالديين.

والدارس للحماسة البصرية، يلحظ أن صاحبها لم يختلف كثيراً في منهجه عن منهج من سبقه في الاختيار، فإذا كان منهج أبي تمام في الاختيار يعود إلى جانب فني جمالي، والبحترى يرد منهجه إلى جانب أخلاقي، فإنني لا أكون مغالياً، إذا قلت إن صاحب الحماسة البصرية قد أخذ بالجانبين معاً، وركز في اختياره على الحسن الجميل من الشعر العربي، الذي يعد ديوان العرب، ففيه منهج حياتهم، وفيه فنهم وذوقهم الذي مازلنا نتبعه هنا وهناك في مضانه ومصادره التي تشتمل على أفضل ما أبدعه الفكر العربي في مجال الأدب والفكر الإنساني الخالد.

والدارس الذي يطلع على هذه الحماسة، فإنه يجدها تتكوّن من أربعة عشر باباً، فهي قد زادت

١٨- المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

أَبَتْ لِي عَفْتِي وَأَبَى بِلَاءِي
وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرَّبِيحِ
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي
وَضْرِبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ
مَكَانَكَ ! تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأَكْسِبَهَا مَأْتَرَ صَالِحَاتِ
وَأَحْمِي بَعْدَ عَنِّ عَرَضِ صَاحِبِ
بِذِي شَطْبٍ كَمَثَلِ الْمَلْحِ صَافٍ

ونفس ما تقرُّ على القَبِيحِ
”جاءني كتاب البيان والتبيين للجاحظ،
قوله:.. وقالوا شعر الرجل قطعة من كلامه، وطنه
قطعة من علمه، واختياره قطعة من عقله.....“^{٢١}
والتأمل في قطعة ”ابن الإطنابة“ يجدها
تتحدث عن فكرة الثبات على أرض المعركة،
والصبر على الشدائد؛ لأن الفرج يأتي تالياً،
والبيت الثالث من المقطعة، يحمل في ثناياه معنى
الحماسة والثبات عند الشدائد؛ لأن الصبر صبر
ساعة، وفيها يحقق الإنسان مناه فإما السمعة
الحسنة والمتعة في هذه الحياة، وإما الموت والراحة
الأبدية.

وقد اختتم ”البصري“ باب الحماسة
بقصيدة ”لعبد العزيز بن زرارة (ت ٦٧٠م)“،
وكان ”معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ)“ ينشدها
كثيراً، وهي:^{٢٢}

قَدْ عَشْتُ فِي النَّاسِ أَطْوَاراً عَلَى خُلُقٍ
شَتَى وَقَاسَيْتُ فِيهَا اللَّيْنَ وَالْفُظْعَانَ
كُلَّا بَلَوْتُ فَلَا النَّعْمَاءُ تَبْطُرُنِي
وَلَا تَخْشَعْتُ مِنْ مَكْرُوهِهَا جَزَعًا

٢١- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البيان
والتبيين (باب البيان) دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص ٤٥.
٢٢- المرجع السابق، ص ١١٦.

البصرية قد زاد على سابقها بأربعة أبواب، هي:
باب المديح والتقريظ، وباب ما جاء في أكاذيبهم
وخرافاتهم وباب ملح الترقيص، وباب الإنابة والزهد.

وهكذا يظهر لنا أن البصري في حماسته، قد
أخذ عن أبي تمام أبوابه، وأضاف عليها أبواباً
أخرى. ومن المعلوم لنا أن أبرز ما يميز ديوان
الحماسة - لأبي تمام - أنه أول مجموعة شعرية
تصنّف فيها الأشعار تصنيفاً موضوعياً، فقد
قسّمها أبو تمام إلى عشرة أبواب، وجعل كل باب
مختصاً بفض من فنون الشعر العربي، وذلك على
النحو التالي:^{١٩}

- ١- باب الحماسة.
- ٢- باب المراثي.
- ٣- باب الأدب.
- ٤- باب النسيب.
- ٥- باب الهجاء.
- ٦- باب الأضياف والمديح.
- ٧- باب الصفات.
- ٨- باب السير والنعاس.
- ٩- باب الملح.
- ١٠- باب مذمة النساء.

وبلغ مجموع ما تضمنته حماسة أبي تمام
(٨٨١) مقطوعة، في حين أن ما تضمنته حماسة
البحثري (١٤٥٤)، مقطوعة.

٧- نظرة نقدية في أبواب الحماسة البصرية:

أ. ”باب الحماسة“:

لقد بدأ البصري باب حماسته بقصيدة عمرو
بن الإطنابة الأنصاري، الذي قال فيها:^{٢٠}

١٩- إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث
العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت، ص ٢١٤.
٢٠- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن
(ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار
الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٤-٣.

القليلة، ولم يلجأ إلى الطوال، كما هو الحال، في الأصمعيات والمفضليات. وفي رأيي أن سبب اختياره للأبيات القليلة، يرجع إلى رغبته في أن تحفظ هذه الأبيات، وتردد على الألسنة؛ لأن القصيدة كلما قل عدد أبياتها كانت أسير حفظاً عند السامعين/ القراء أو المتلقين.

إن الدارس لهذا الباب - باب الحماسة - يجد خلطاً بالأسماء، وهذا ما يتضح في ق ٢٧، فقال المصنف: وقال الحارث بن عباد العبسي [جاهلي]، وفي حاشية المحقق نجد أن الشاعر هو "البكري" لا "العبسي"، كما وهم المصنف (المؤلف) وفيها قال الشاعر:^{٢٤}

قُرْبًا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِّي

لَقِحَتْ حَرْبٌ وَأَثَلُ عَنْ جِيَالِ

قُرْبَاهَا فِي مَقْرِبَاتِ عَجَالِ

عَابَسَاتِ يَثْبِنُ وَثَبَ السَّعَالِي

لَمْ أَكُنْ مِنْ جِنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ

وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

لقد جاء "البصري" ببعض الأبيات والقصائد مختلفاً فيها، من مصدر إلى مصدر، ومن مرجع إلى مرجع، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإننا نجد في ق ٥٧ من باب الحماسة اختلافاً بين ما جاء في الحماسة، وما جاء في كتاب الخزانة "للبيгдаي"، وفيها قال "البصري":

وقال زُفر بن الحارث الكلابي [من شعراء بني أمية]:^{٢٥}

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيَعَةُ رَاهِطِ

لِمُرْوَانَ صَدْعًا بَيْنَنَا مُتَنَائِيًا

فَلَمْ تَرِ مَنِّي نَبْوَةَ قَبْلِ هَذِهِ

فَرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا

أَرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكَ إِنَّنِي

أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

لقد مرّ الشاعر بتجربة ما في الحياة، حيث قاسى صنوف التعب، كما أنه قد عرف الحياة بليتها وقساوتها، فلم يبطره اللين وخفض العيش، ولم يضعفه الكرب الشديد، أو الحزن العميق.

والمأمل في باب الحماسة "للبصري" يجده مشتتاً على (٢٤٣) مقطعة، ولكنه يحتل المكانة الثانية من الأبواب من حيث عدد المقطعات، وبهذا يكون باب النسيب والغزل أكثر أبواب الحماسة عدد مقطعات.

والملاحظ في هذا الباب - باب الحماسة - أن "البصري" لم يترجم لكثير من الشعراء الذين أخذ عنهم مقطعاته، وجل ما ذكره المصنف عن حياة الشعراء أنه كان يقول - أحياناً - أنه مخزرم - كما هو الحال في - ق ٢، وق ٩، وق ٢٣، وق ٦٠، وق ١١٤.

وكان أحياناً يعرف بالشاعر بقوله: أموي الشعر، كما هو الحال في، ق ٨، وق ١١، وق ١٩، وق ٢٤، وق ٦٤.

وكان يكتفي في الكثير من المقطعات أنه كان يقول في تعريفه للشاعر إنه جاهلي، كما هو الحال، في بعض القصائد في باب الحماسة وغيره من الأبواب الأخرى، مثل قوله في قصيدة ق ١٦ وقال معبد بن علقمة (ت ٧٤٣ هـ) جاهلي، وكذلك في ق ٢٥، وق ٥٠، وق ٥٢.

والدارس لهذا الباب - باب الحماسة - في حماسة "البصري"، قد يلحظ أن "البصري"، قد أدرج بعض المقطعات في هذا الباب، وهي - في نظر الدارس الحالي - لا تصلح أن تكون ضمن هذا الباب، بل قد تصلح أن تقع ضمن مقطعات باب آخر مثل: ق ٩، ق ١٧، ق ١٩، ق ٦٩...^{٢٣}

ومن خلال دراستي، لاحظت أن صاحب الحماسة قد ركز على القصائد ذات الأبيات

٢٢- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

٢٤- المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

٢٥- المرجع السابق، ص ٢٦.

وفي رأيي أن مصنف الحماسة، على الرغم من الجهد الذي بذله في الاختيار والانتخاب، إلا أنه أخفق في بعض الاختيارات والمنتخبات، وبخاصة عند تصنيفها في الأبواب التي، أشرت إليها سابقاً، منها أجد بعض القصائد قد وضعت في باب الحماسة وموقعها المديح، وبعضها جاء في باب الحكمة، فجاءت في باب الحماسة..... والدليل على ذلك أن ق ٨٦، وهي للشاعر أبي تمام الطائي جاءت في باب الحماسة، وهي تصلح لأن توضع في باب المديح، وهو يمدح فيها عبد الله بن طاهر، وفيها قال: ^{٢٩}

أَعَادَتِي مَا أَخْشَنَ اللَّيْلَ مَرَكِبًا

وأخشن منه في الملمات رآكبه

ومن مختارات باب الحماسة القصيدة رقم "٩٤"، التي وقعت في باب الحماسة، وموقعها - كما أرى - في الحكمة قال المصنف:

وقال الهيثم بن الأسود بن قيس النخعي - جاهلي - ^{٣٠}

وَأَعْلَمَ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ

إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ

وإن لسان المرء ما لم تكن له

حِصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لِدَلِيلٌ

لقد اختار "البصري" العديد من القصائد الجياد في حماسته، وبعضها يحمل رمزاً ذكياً له دلالاته الفكرية، التي تدل على المستوى الفكري الراقي الذي وصل إليه مصنف الحماسة البصرية، فقد أورد "البصري" في باب الحماسة قصيدة تعد من عيون الشعر العربي لما تحمله من أفكار ومعان سامية، وقد بعث بها الشاعر إلى قومه يحذّرهم فيها من غزو كسرى لهم، كما جاء في الحماسة في قصيدة رقم ١٩٤، قول المصنف:

لم يكن مصنف الحماسة البصرية دقيقاً في نسبة الشعراء إلى عصورهم، ونجده يخلط بين عصور الشعراء، فالجاهلي قد يكون إسلامياً، والإسلامي قد يُنسب إلى العصر الجاهلي، ويتجلى ذلك في ٦٧، ونجد "البصري" يقول: ^{٣١}

وقال مضر بن ربعي، جاهلي، منها:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَهْدِيُّ قَوَارِصَهُ

أَبْصُرْ طَرِيقَكَ لَا يَشْخَصُ بِكَ الْبَصْرُ

وأكد المحقق أن مضر بن ربعي ليس جاهلياً، فجاء في أعلام "الزركلي": وروى له "المرزباني (ت ٧٢٠هـ) "عدة مقطوعات، وقال: له خبر مع الفرزدق (ت ٧٢٢هـ) فإن صح هذا فلا يكون جاهلياً ^{٣٢}

والتأمل بهذه الحماسة يجد الخلط وعدم القطع في نسبة أبيات إلى أصحابها، وهذا ما يبدو في ق ٨٢ من باب الحماسة، واستشهد بالأبيات التالية فقال: ^{٣٣}

وَلَمْ أَرُ كَالْمَقْدَامِ أَبْعَدَ هِمَّةً

وَأَرَبِطُ جَاشَأً حِينَ تَخْتَلِفُ السُّمُرُ

فتى إن هو استغنى تخرق في الغنى

وإن قل ما لا لم يضع متنه الفقر

ولست تراه جازعاً لمصيبة

وَلَا فَرِحًا بِالْدهْرِ إِنْ أَسْعَدَ الدهْرُ

وأكد المحقق أن الأبيات منها ما يُنسب للأبرد اليربوعي، وهي تُنسب إلى سلمه بن يزيد، وليلى بنت سلمى - أيضاً - .

والمصنف على ما يبدو لم يجهد نفسه كثيراً في نسبة الأبيات إلى أصحابها، أو الاهتمام بعصر الشاعر وحياته، وإنما كان مهتماً بالأبيات الجميلة التي تحقق غرضه في التصنيف، التي تقدم جانباً أخلاقياً وجمالياً.

٢٦- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٢٠.

٢٧- المرجع السابق، ص ٢٠.

٢٨- المرجع السابق، ص ٢٧.

٢٩- المرجع السابق، ص ٢٩.

٣٠- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٤٢.

إنَّ جُلَّ القِصائدِ والمقطعاتِ التي وقعت تحت باب
الحماسة، تدور حول فلك واحد، وهو فلك الشجاعة
والفروسية، وكلها تركز على القدرة والتحمل
والصبر على الشدائد، وقدرة التحمل في ساحات
القتال، ولهذا سُمِّيَ هذا الباب بباب الحماسة.

وإن العديد من القصائد في هذا الباب وغيره
تحمل حكمة مشهورة أو مثلاً معروفاً عند العرب،
ومثال ذلك: قال أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي،
إسلامي: ^{٢٢}

رَأْتَنِي فَقَالَتْ أَنْتَ شَيْخٌ وَإِنَّمَا

يَرُوقُ الْغَوَانِي مَجْدِبُ الْخَدِّ خَالِعٍ
وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعْتُ

عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيْبَتَنِي الْوَقَائِعُ
وَجَاءَ فِي قَصِيدَةٍ رَقْمَ "٨١" قَوْلُ الشَّاعِرِ مَعْنَى
بْنِ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ: ^{٢٣}

أَعْلَمُهُ الرَّمَائِيَةَ كُلَّ يَوْمٍ

فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَيَقِي ق "٩٥" يَقُولُ: قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ
الْجَاهِلِيِّ: ^{٢٤}

أَبَا مَنذَرٍ أَفْنِيَتْ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا

حَنَانِيكَ بَعْضَ الشَّرْأَهُونَ مِنْ بَعْضٍ
وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ نَعِيمِ الشَّيْبَانِيِّ الشَّارِي
بِعَبْرِ الْحِجَاجِ لَمَّا هَرَبَ غَزَالَهُ مِنْ امْرَأَتِهِ، وَتُرْوَى
الْأَبْيَاتُ لِعِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ (أُمَوِي الشَّعْر) قَوْلُهُ: ^{٢٥}
أَسْدٌ عَلَيَّ وَيُفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ

رَبْدَاءُ تَجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَا بَرَزَتْ إِلَيَّ غَزَالَةٌ فِي الْوَعَى

بَلْ كَانَ قَلْبِكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

٢٢- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن
الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج١، تحقيق
مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/١٩٦٤ م، ص٢٢.
٢٣- المرجع السابق، ص٣٦-٣٧.
٢٤- المرجع السابق، ص٤٢.
٢٥- المرجع السابق، ص٤٢.

وَقَالَ لَقِيْبُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ مَعْبِدِ الْأَيْدِي،
جَاهِلِي، يُحْذِرُ قَوْمَهُ مِنْ غَزْوِ كَسْرَى، وَيُحِثُّهُمْ عَلَى
الاستعداد له: ^{٢١}

يَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَاعَا

هَاجَتْ لَكَ الْمَهْمُ وَالْأَحْزَانُ وَالْجَزَعَا
أَبْلُغْ إِيَادَاً وَخَلِّ فِي سُرَاتِهِمْ

إِنِّي أَرَى الْأَمْرَ إِنْ لَمْ أَعْصُ قَدْ نَصَعَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ

شَتَى وَأَحْكَمَ أَمْرَ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُكَمِ

رَحِبِ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعَا
لَا مُتْرَفَاً إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ

وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وَدِي بِلَا دَخَلِ

فَاسْتَيْقِظُوا إِنْ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا
فَالْقَصِيدَةُ جَاءَتْ رِسَالَةً مِنَ الشَّاعِرِ إِلَى
قَوْمِهِ الَّذِي عَزَمَ "كَسْرَى" عَلَى غَزْوِهِمْ، وَإِنَّهُ
قَدْ اسْتَعَدَّ لَهُمْ كُلَّ الاستعداد للقضاء على قبيلة
"إياد"، والشاعر كان قريباً من "كسرى" فأحس
بهذا الأمر، فبعث برسائلته يُحذِرُ قَوْمَهُ، وَيَدْعُوهُمْ
إِلَى الاستعداد التام لمواجهة "كسرى"، ونصح
الشاعر قومه، أَنْ يُولُوا عَلَيْهِمْ قَائِدٌ فِيهِ صِفَاتُ
القيادة ولديه قدرة على الحرب، لَا مُتْرَفَاً فِي حَيَاتِهِ
يَمِيلُ لِلدَّعَةِ وَخَفْضِ الْحَيَاةِ، وَلَا ضَعِيفَاً هَشَا يَخْشَعُ
عِنْدَ الْكُرُوبِ وَالْمَلَمَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبَ رَأْيٍ ثَابِتٍ
وَبَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ.

والممتنع لقصائد الحماسة البصرية، فإنه
يجد فيها العديد من الأبيات الشعرية التي تحمل
معنى الحكمة بكل أبعادها. فقصائده منتقيات من
الشعر العربي على مرِّ عصوره حتى زمن المصنِّف
ففيها شعر: جاهلي، وإسلامي، وأموي، وعباسي،
وكلها تحمل تجارب الحياة المتنوعة.

٢١- المرجع السابق، ص٨٩-٩١.

صَدَعَتْ غَزَالَةً جَمَعَهُمْ بِفَوَارِسٍ

جَعَلْتُ كِتَابَهُمْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

وقال أبو مسلم الخرساني (ت ٧٥٥ هـ):^{٢٦}

وَمَنْ رَعَى عَنَّمَا فِي أَرْضٍ مَسْبُوعَةٍ

وَنَامَ عَنهَا تَوَلَّى رَعِيهَا الْأَسَدُ

باب المديح والتقريظ:

لقد جاءت القصائد الأولى في هذا الباب، في مدح الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم، وبدأه المصنف، بقصيدة لسواد بن قارب، رضي الله عنه، قد أتاه ليلاً يخبره ببعث محمد -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأمة، فقصد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ووقع في قلبه حب الإسلام، فلما شاهده أنشد، قال:^{٢٧}

أَتَانِي رَثِييَ بَعْدَ هَدَى وَرَقْدَةٍ

وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ

ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلِّ لَيْلَةٍ

أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لَوْيِ بْنِ غَالِبِ

فَمَرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلِ

وَإِنْ كَانَ فِيمَا جِئْتَ شَيْبَ الذَّوَابِ

وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ

سِوَاكَ بِمَغْنٍ عَنْ سِوَادِ بْنِ قَارِبِ

إن خير من يمدح، هو شخص الرسول -صلى الله عليه وسلم-، لهذا نجد المصنف قد ركز في مدحه على صفات الرسول -صلى الله عليه وسلم-، من كرم وشجاعة وخلق سمح واحترام للناس جميعاً... الخ.

وهذا الباب جاء مكوناً من "١٩٨" قصيدة لشعراء ينتسبون لعصور مختلفة، من جاهلي وإسلامي، وأموي، وعباسي، والملاحظ أن قصائد هذا الباب جاءت مقطوعات قصار، لكنها تحمل معان سامية في المديح والتقريظ.

٢٦- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ١١٠.
٢٧- المرجع السابق، ص ١١٧.

والملاحظ أن معظم الشعراء الذين صنّف لهم "البصري"، وأخذ من أشعارهم في هذا الباب، إنهم من الشعراء المعروفين في مجال الشعر، وجلهم من شعراء العصر الأموي: كجرير، والفرزدق، وكثير عزة، ونصيب، ومنهم من شعراء العصر العباسي: كبشار بن برد، وأبي العتاهية، ومسلم بن الوليد.

والدارس لهذا الباب يجد مقطوعاته تُركز على الممدوح ومدحه بصفات إنسانية نبيلة، وقد تكون صفات خاصة بالممدوح، ومثال ذلك، ما قاله الفرزدق همام بن غالب في علي بن الحسين بن علي (ت ٥٠ هـ) - رضي الله عنهم - قوله:^{٢٨}

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبِطْحَاءُ وَطَأْتَهُ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحُلُّ وَالْحَرَمُ

لقد ختم المصنف بابه هذا بقصيدة للشاعر الأموي كثير بن أبي جمعة، يمدح عمر بن عبد العزيز (ت ٧٢٠ هـ) - رضي الله عنه - قال فيها:^{٢٩}

وُلِيْتَ فَلَمْ تَشْتَمِ عَلَيَّ وَلَمْ تَخْفُ

بَرِيئاً وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ

وَقُلْتَ فَصَدَقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي

فَعَلْتَ فَأَمْسَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمِ

ج- باب التآبين والثناء:

جاء هذا الباب مشتملاً على (١٨٤) مقطوعة، والمقطوعات الأولى جاءت رثاء للرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وآل بيته، وجاء في القصيدة الأولى: قال المغيرة أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، مخضرم، قوله:^{٣٠}

لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَحَلَّتْ

عَشِيَّةَ قَبْلِ قَدْ قَبِضَ الرَّسُولُ

وَأَضَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا

تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ

٢٨- المرجع السابق، ص ١٢٠.

٢٩- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ١٩٧.

٣٠- المرجع السابق، ص ١٩٥.

البصريّة، وتضمّن هذا الباب (٢١٨) مقطوعة بدأها بقصيدة لعلي بن أبي طالب، وتروى لحسان بن ثابت (ت ٥٢ هـ) الأنصاري، وفيها قال:^{٤٢}

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وَصَاقَ لما به الصِدْرُ الرّحيبُ
وأوطنت المكاره وأطمأنت

وأرست في مكامنها الخطوب
ولم يرى الانكشاف الضّر وجه

ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوطٍ منك غوث

يجيء به القريب المستجيب
وكل الحادثات وإن تناهت

فموصول بها الفرج القريب

ومعظم المقطعات في هذا الباب تدور حول أهمية الصبر عند الشدائد تارة؛ لأن الشدائد لن تدوم على حالها؛ ولأن بعد العسر يسرا، ويأتي الفرج بعد الشدة والتأزم، وحول هذا المفاهيم وأبعادها جاء في القصيدة رقم (٣) قول الشاعر:^{٤٣}

لا تياسن وإن طالت مطالبة

إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجاً

ويتوافر في هذا الباب قصائد كثيرة تدور حول التأدب وإعطاء الحكمة للناشئة تارة أخرى؛ لأخذ العظة والعبرة فما مضى من الأقوال الحكيمة، وهذا يعني أن المصنّف - رحمه الله - وكان رجلاً حكيماً تعنيه التجربة والحكمة، ولهذا جاءت اختياراته موفقة في أبوابها وفي معانيها؛ لتفهم وتحفظ فجاءت أبياتاً مختزلة تحمل معان سامية.

وأيّما قلبت النظر في هذا الباب فإنك قد تجد في كل قصيدة منها حكمة جميلة سائدة، تجد مكانها في قلب قارئها وسامعها، وبدل هذا

٤٢- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م، ص ١٠٤-٤٤ المرجع السابق، ص ٢٠٤.

أفاطم أن جزعت فذاك عذر
وإن لم تجزعي ذاك السبيل

فقتبر أبيك سيد كل قبر
وفيه سيد الناس الرسول

وفي هذا الباب، نجد قصيدة لأبي الأسود الدؤلي (إسلامي) يرثي بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) -رضي الله عنه- وفيها قال:^{٤٤}

ألا أبلغ معاوية بن حرب
فلا قرّت عيون الشامتين

أفي الشهر الحرام فجعتونا
بخير الناس طرا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا
وأكرمهم ومن ركب السفينا

واللافت للنظر في هذا الباب أنه أشتمل على قصيدة نسبت إلى سيدنا آدم عليه السلام، وذلك لما قتل قابيل هابيل، قال:^{٤٥}

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي ريح وطعم
وقل بشاشة الوجه المليح

أرى طول الحياة عليّ غمًا
فهل أنا من حياتي مستريح

لقد أحسن المصنّف في اختياره لمقطعات هذا الباب؛ بسبب تضمنها شعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين وعباسيين، وهي مقطعات من أجود ما قيل في فن الرثاء في التراث العربي الخالد.

د-باب الأدب:

وهو الباب الرابع من أبواب الحماسة البصريّة، وبها أفتتح الجزء الثاني من الحماسة

٤١- المرجع السابق، ص ١٩٧

٤٢- المرجع السابق، ص ٢٠٤

ونحن نعلم أن الغزل قريب من النفس، وتمتاز ألفاظه بالرفقة والعدووية؛ لتجد مكانها في القلب، وكذلك كانت جُلّ مقطعات هذا الباب، وقد أشار "ابن قتيبة" إلى هذه القضية فقال: "إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكى وخاطب الربيع ثم وصل ذلك بالنسيب فشكى من شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق؛ ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجود ويستدعي (به) إصغاء الأسماع (إليه)؛ لأن التشبيب قريب من النفوس لا تُط بالقلوب لما (قد) جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وألف النساء...."^{٤٦}

إن معظم قصائد هذا الباب أخذت من شعر شعراء الغزل السائد في العصر الأموي، مثل: جميل بن معمر، وقيس بن الملوّح (ت ٦٨٧م)، وكثير عزة (ت ٧٢٣م)، وعمر بن أبي ربيعة (ت ٧١٢م)، بالإضافة إلى شعراء من عصور مختلفة، وكلها جاءت على نسق واحد فيها مشاعر إنسانية لا تتمحي على مرّ الأيام والسنين، قال قيس بن الملوّح:^{٤٧}

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيحُ لَهُمْ عَجِيحُ

بِمَكَّةَ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبُ
فَقَلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامِ
بِهِ لِلَّهِ أَخْلَصَتِ الْقُلُوبُ
إِلَيْكَ أَتُوبُ يَا رَحْمَنَ مَمَّا
جَنَيْتُ فَقَدْ تَكَاثَرَتِ الذُّنُوبُ
وَأَمَّا عَنِ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِي
زِيَارَتَهَا فَإِنِّي لَا أَتُوبُ
فَكَيْفَ وَحُبُّهَا عَلَّقَ بِقَلْبِي
أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْهَا أَوْ أُتِيبُ

٤٦- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت هـ)، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق مفيد فميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص٢٧-٢٨.

٤٧- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج١، تحقيق مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ١٧٩-١٧٨.

على حُسن الاختيار والانتقاء للمصنّف، كما أنه دليل على المستوى الثقافي العالي الذي امتاز به "البصري" - رحمه الله - .

إن بعض قصائد هذا الباب نسبها المصنّف إلى شاعر غير شاعرها، وهذا يبدو في القصيدة رقم "٢٣" من باب الأدب، ونسبت الأبيات إلى الأدب، وكذلك نسبت الأبيات إلى "الأعشى عبد الله ابن المخارق الشيباني"، ومنها ما نسب إلى "قيس بن الخطيم"، وأكثر الأبيات - كما قال المحقق - تنسب إلى الربيع بن أبي الحقيق اليهودي عند ابن الأثير.

هـ - باب النسيب والغزل:

يقع هذا الباب في (٣٤٨) مقطوعة، وهو أكثر أبواب الحماسة عدد مقطعات، وقد بدأه المصنّف بقصيدة لأبي داود عدي بن الرّقاء، أموي الشعر، وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي ابن الرّقاء، وفيها قال:^{٤٥}

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَسِي قَدْ عَسَا

فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
فَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا
فِي عَيْنِهِ أَحُورٌ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النَّعَاسُ فَرْتَقَتْ
فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ
يَصْطَادُ يَقْظَانُ الرَّجَالَ حَدِيثَهَا
وَتَطِيرُ لَذْتَهُ بَرُوحِ النَّائِمِ
وَمِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصَّبَا
نَظَرِي إِلَى حُورِ الْعَيُونِ نَوَاعِمِ

والتأمل في هذا الباب يجده يشتمل على العديد من الأبيات الشعرية الجميلة، التي لا تحمل فحشا، أو إساءة للأدب، فكلها أبيات تحمل معنى الحب الحقيقي، دونما خدش للحياء، أو العفة، وهذا يعني أن المصنّف قد اختار مقطعاته؛ لتحمل في طياتها جانباً ترفيهياً خلقياً.

٤٥- المرجع السابق، ص٢٥.

فِيهِنْ أَصْبَحَ سَائِرًا مَحْمُولًا
إِلَّا أَكُنْ مَمَّنْ قَتَلَنْ فَإِنِّي

مَمَّنْ تَرَكَنْ فَوَادَهَ مَحْبُولًا

و- باب الأضياف:

لقد قسّم المصنف هذا الباب إلى ثلاث أقسام،

هي:

- قسم للأضياف.

- قسم يشتمل على ما قيل في النيران الموقدة على
اليفاع؛ ليراها الضيف فيهتدي بها، وذلك من
فعل الشجعان الكرام.

- وقسم يشتمل على ما قيل فيمن أخدم ناره، وكعم
كلبه مخافة أن يهتدي به طارق ليل.

ضم هذا الباب إحدى وأربعين قصيدة، وهذه
القصائد تحمل فكرة احترام الضيف، والعمل على
خدمته، والتأكيد على قرى الضيف وإكرامه، وهي
من العادات العربية المحببة للنفس التي يعتز بها
العربي أيما اعتزاز.

والملاحظ أن بعض القصائد في هذا الباب
جاءت مجهولة القائل كما هو الحال في ٧، و٨،
وكلا القصيدتين تحملان معنى سامياً، وهو إكرام
الضيف: ^{٥٠}

وَالضَيْفُ فَكْرُمٌ مَا اسْتَطَعَتْ تَعْلَةً

وَتَلَقَّهَ بِتَوَدُّدٍ وَتَهْلَلُ

وَأَعْلَمُ بَأَنَّ الضَيْفَ يَوْمًا مَخْبِرٌ

بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلْ

ومن عادات العرب أنهم يفخرون بإيقاد
النيران على الأماكن المرتفعة؛ ليشاهدها الساري
ليلاً، وكأنها مناداة على الضيفان في بيوت القوم
قال بعض الأعراب: ^{٥١}

وَشَعْنَاءُ غِبْرَاءِ الضَّرْعِ مَنِيفَةٌ

بِهَا تَوْصَفُ الحَسَنَاءُ بَلْ هِيَ أَجْمَلُ

٥٠- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن
الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق
مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ٢٣٩.
٥١- المرجع السابق، ص ٢٤١.

وقد أخذ ”البصري“ - رحمه الله - من شعر
”بشار بن برد“، ومنها التي قال فيها: ^{٥٨}

يَا قِرَّةَ العَيْنِ إِنِّي لَا أَسْمِيكَ

أَكْنِي بِأُخْرَى أَسْمِيهَا وَأَعْنِيكَ

أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الجِيرَانِ حَاسِدَةٌ

أَوْ سَهْمِ غَيْرَانِ يَرْمِينِي وَيَرْمِيكَ

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ

إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ المَسَاوِيكِ

مَنْيَتِنَا زُورَةٌ فِي النَّوْمِ وَاحِدَةٌ

فَأَثْنِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بِيضَةَ الدِّيَكِ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حَلِي فِي مَنَازِلِنَا

حَسْبِي بَرَانِحَةُ الفِرْدَوْسِ مِنْ فِيكَ

وعلى الرغم من أن هذا الباب جاء في الغزل،
إلا أن الموعظة والحكمة جاءت في ثنايا قصائد هذا
الباب، كما يظهر من البيت الرابع من قصيدة
”بشار بن برد“، الذي أشار فيه إلى مقولة
”بيضة الديك“ التي لا تحصل إلا مرة في العمر
كما يقال. لقد أنهى المصنف هذا الباب بمقطوعة
”لمروان بن حفصة“، وفيها يقول: ^{٥٩}

إِنِ الغَوَانِي طَالَ مَا قَتَلْنَا

بِعِيُونِهِنَّ وَلَا يَدَيْنِ قَتِيلَا

مَنْ كُلُّ آنَسَةٍ كَأَنَّ حَجَالَهَا

ضَمِنَ أَحْوَرٍ فِي الكِنَاسِ كَحِيلَا

أَوْ دَيْنَ عَرُوةٍ وَالمَرْقَشِ قَبْلَهُ

كُلُّ أَصِيبٍ وَمَا أَطَاقَ دُهوْلَا

وَلَقَدْ تَرَكَنْ أَبَا ذُوَيْبٍ هَائِمًا

وَلَقَدْ تَبْلَنْ كَثِيرًا وَجَمِيلَا

وَتَرَكَنْ لِابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ مُنْطَقًا

٥٨- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن
الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق
مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م،
٢١٠-٢١١.
٥٩- المرجع السابق، ص ٢٠٣.

وعدتُ بها أبناء ليل كأنهم

وقد أبصروها معطشون قد انهلوا

وقد هجا شعراء العرب من كعم كلبه، أو أحمد ناره ليلاً مخافة أن يهتدي إليه ضيف، وفي ذلك قال "الهديل بن مجاشع اليشكري":^{٥٢}

إذا كان حلم الكلب زينا فكلبه

سفيه وفي وقت السفاه حلیم

وإن أوقدت نار فليس لناره

وإن كان مقرور العظام جحيم

تعلم من جدي كع كلابه

إذا لاح وجه للظلام بهيم

وما زال لا زالت عليه مصائب

يصوم بخلا ضيفه ويصوم

ز- باب ما قيل في الهجاء:

يشتمل هذا الباب على (١٥٣) مقطوعة، بدأ المصنف هذا الباب بقصيدة لزعيم الهجائيين "الحطيئة جرول العبسي (ت ٤٥هـ)، يهجو الزبرقان بن بدر" وفيها قال:^{٥٣}

لما بدا لي منكم عيب أنفسكم

ولم يكن لجراحي منكم آسى

وإذا كان الهجاء لشخص بعينه، فإن المصنف قد اختار بعض المقطعات التي فيها هجاء للقوم، كما هو الحال في مقطوعة "داود بن عيينة المنقري"، والذي قال فيها:^{٥٤}

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم

واستوثقوا من رتاج الباب والدار

لا يقبس الجار منهم فضل نارهم

ولا تكف يد عن حرمة الجار

والملاحظ في مقطعات هذا الباب أنها جاءت قصيرة لم تزد عن الثلاثة أبيات أو الأربعة، إلا في القليل النادر منها. ولم يُعرف الشاعر للكثير من أصحاب المقطعات، بل كثيرا ما قال المصنف دون الإشارة إلى اسم الشاعر للأبيات كقوله: "قال آخر"، ولم يذكر اسم الشاعر، وهذا دليل على أن المصنف لم يهتم كثيرا بالشاعر وحياته واسمه وشهرته، وإنما جاء اختياره للجيد من الشعر، ولما يُقدمه الشعر من فائدة لسامعه وقارئه ومتلقيه.

وعلى الرغم من أن هذا الباب جاء في الهجاء، إلا أن جميع مقطوعاته، لم تحمل إساءة فاحشة للمهجو، قال الأحوص:^{٥٥}

سلام الله يا مطر عليها

وليس عليك يا مطر السلام

فإن يكن النكاح أحل أنثى

فإن نكاحها مطرا حرام

فطلقها فلست لها بكفو

والأ يعل مفرقك الحسام

فلا غفر إلا له منكحها

ذنوبهم وإن صلوا وصاموا

ومن المفارقات أن شاعرا من الأعراب هجا أباه

فقال:^{٥٦}

إذا كانت الآباء مثل أب لنا

فلا أبقت الدنيا على ظهرها أبا

إذا شاب رأس المرء أفلح وارعوى

وإن أبانا حين شاب تشبنا

ح- باب الصفات والنعوت:

إن الدارس لهذا الباب يجد معظم القصائد جاءت لشعراء جاهليين؛ لأن معظم شعراء العصر الجاهلي قد ركزوا في قصائدهم على الطبيعة الصامتة تارة، والطبيعة الناطقة تارة أخرى، وهو وصف لكل ما كان يحيط بالجاهلي من صحراء وحيواناتها ونباتها وطيرها... إلخ.

٥٥- المرجع السابق، ص ٢٦٢.

٥٦- المرجع السابق، ص ٢٦٥.

٥٢- المرجع السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

٥٣- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ص ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٢٥٦.

٥٤- المرجع السابق، ص ٢٥٦-٢٥٧.

ط- باب الملح والمجون:

يحتوي هذا الباب على (٨٤) مقطوعة شعرية، تكتنفها الفكاهة والسخرية من أمر ما، ولا أشك أنها جاءت ترويحاً للقارئ، وتحفيزاً له على المضي في قراءة الحماسة، وقد بدأ المصنف هذا الباب بقصيدة لمحمد بن حمزة العقيلي وفيها قال:^{٥٩}

بانث تشجعني عرسي فقلت لها

إن الشجاعة مقرون بها العطب

يا هند لا والذي حجّ الحجيج له

ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضع الله سعيهم

إذا دعتهم الى أهوالها وثبوا

فلست منهم ولا أهوى فعالهم

لا الجد يعجبني منها ولا اللعب

وقال الأعرور الشنّي (ت ٥٠ هـ)، وقيل لحبيب بن

عوف:^{٦٠}

يقول لي الأمير بغير علم

تقدّم حين جد بنا المراس

ومالي أن أظعتك من حياة

ومالي بعد هذا الرأس راس

وقد حوى هذا الباب على العديد من القصائد

التي تتحدث عن الخمرة، كما قال أبو محجن الثقفي (ت ٣٠ هـ) - رضي الله عنه -:^{٦١}

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة

تروي عظامي بعد موتي عروقتها

أما الأبواب الأخيرة في حماسة البصري، كالباب الذي يحمل عنوان "ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم"،

٥٩- المرجع السابق، ص ٣٦٤.

٦٠- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٣٦٥.

٦١- المرجع السابق، ص ٢٨٩.

لهذا جاءت معظم مقطعات هذا الباب وصفاً للإبل ونعوتها، وللحصان وسرعته، وأنها تمتاز بالقوة والنشاط، وأنها عريضة الصدر والجبهة... إلخ.

وقد أحسن المصنف الاختيار في هذا الباب، حيث نجد بعضها وكأن أحداثها ماثلة للعيان، وهذا ما ظهر في القصيدة رقم (٢٥) من هذا الباب، وفيها قصة أبي زييد حرملة بن المنذر الطائي في صفة الأسد، وفيها قال:^{٥٧}

كأنما يتفادى أمر أهلهم

من ذي زوائد في أرساغه فدع

ضرغامه أهرت الشدقين ذي لب

كأنه برنيسة في الغاب مدرع

ومن الملاحظ أن عدد مقطعات هذا الباب هو (٦٠) مقطوعة، وقد اختار المصنف بعض القصائد التي تصف الديك والهدد، كما في ق (٣٠)، وق ٣٢، وجاء بقصائد وصف بها الحية، كما في ق ٣٧، وبقصائد أخرى وصف بها السيف كما في ق ٤٢، وق ٤٣.

وأما وصف السحاب فجاء في العديد من القصائد، كما في ق ٤٥، وق ٤٦، وق ٤٨، وق ٤٩.

وهذا الباب لا يختلف كثيراً عن الباب الذي يليه، وهو باب السير والنعاس، حيث ركز المصنف على القصائد التي وصف بها الصحراء والناقة، كما في ق ١ في قوله:^{٥٨}

قال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

ولما رأت أن المنية منهل

وأن بياضاً من فرائضها دامي

وهناك العديد من القصائد التي لم يُشر إلى اسم قائلها، كما في ق ٢٧، وق ٣٠، وق ٣١.

٥٧- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

٥٨- المرجع السابق، ص ٣٥٤.

والمملوك وأصحاب التيجان، الذين كانوا يحكمون الأرض، فكلهم قد تركوا أموالهم، ورحلوا إلى العالم الآخر، وفي ذلك قال ورقة بن نوفل - رضي الله عنه - (مات في السنوات الأولى للبعثة بعمر يزيد عن المئة عام، وهو يكبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بستين عاما كما هو صحيح في التاريخ):^{٦٤}

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم

أنا التذيرُ فلا يفركم أحد

أين المملوك التي كانت لعزتها

من كل أوب إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب

لأبد من ورده يوماً كما وردوا

وإن بعض مقطعات هذا الباب لم يذكر المصنّف اسم الشاعر الذي قالها، وإنما اكتفى بقوله "قال آخر"، وهذا يعني كما أسلفت أن المصنّف كان مهتماً بجمال الشعر وما يحمله الشعر من فكرة أخلاقية يمكن أن ينتفع بها القارئ، ولهذا فقد حوت أبواب الحماسة البصرية على العديد من الأبيات الشعرية ذات المضمون الحكمي.

ي- باب مذمة النساء:

يضم هذا الباب ثمان وعشرين قصيدة، وهي من المقطعات القليلة الأبيات، ومن الملاحظ في هذا الباب، والذي سبقه أن المصنّف قد بدأ هذين البابين بقصيدة للحطيئة، وهو من أشهر الشعراء الهجائيين في تراثنا العربي الخالد.

قال الحطيئة جروال العبسي (ت ٤٥ هـ) يهجو أمه الضراء لما تزوج كليب بن كنيس:^{٦٥}

تنحي فاقعدي مني بعيداً

أراح الله منك العالمينا

وأما الباب الثاني عشر من الحماسة البصرية، فقد حوى هذا الباب على عشر مقطعات فقط، وجاءت المقطعة الأولى في هذا الباب لأمية بن أبي الصلت الثقفي (ت ٢هـ/ أو ٩هـ)، التي تتضمن الخرافة التي تزعم العرب فيها أنه إذا أمسكت السماء مطرها، وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى شجرتين يقال لهما السلع والعتير، فعقدوهما في أذنان البقر، وأضرموا فيها النار، وأصعدوهما في جبل وعير، إنهم يفعلون ذلك تماؤلاً للبرق، وفيها قال:^{٦٦}

سنة أزمة تخيل لنا

سترى للعضاة فيها صريراً

عاقدين النيران في ثكن الأذ

ناب منها كيما تهيج البحورا

وأما باب "ما جاء من ملح الترقيص"، فهو باب خليل عدد المقطعات، فهو يشتمل على تسع مقطعات، تحمل في ثناياها فكاهة لمن يرقص، وهي مقطعات قصيرة من حيث عدد أبياتها، فهي لم تتجاوز البيتين أو الثلاث إلا قليلاً، وهذا دليل على أن المصنّف لم يهتم كثيراً بمثل هذه الأبواب، وإنما ضمنها حماسته؛ ليؤكد أن هذه الموضوعات قد طرقت، ونظم فيها شعراً في تراثنا العربي الخالد.

أما الباب الأخير في الحماسة البصرية، فهو باب "الإنبابة والزهد"، وهو آخر أبواب الحماسة، وتضمن هذا الباب (٥٤) مقطوعة، كلها جاءت تحمل فكرة الزهد والانصراف عن متع الحياة؛ لأن حياة الإنسان قصيرة، وفيها العديد من القصائد التي تعد المال سعادة للإنسان، فقد قال عبد الله بن المخارق^{٦٧} ولست أرى السعادة جمع مال

ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً

وعند الله للأتقى مزيد

وإن جلّ قصائد هذا الباب تدعو الإنسان إلى التأمل وأخذ العظة والعبرة من أموال الأمم الغابرة،

٦٤- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج ١، ج ٢ تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ٤٢٥.

٦٥- المرجع السابق، ص ٢٠٧.

٦٦- المرجع السابق، ص ٢٩٥.

٦٧- المرجع السابق، ص ٤٢٤.

قائمة المصادر والمراجع:

إسماعيل، عزّ الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف المصرية، القاهرة، د.ت، ط١- ط٢.

البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج١، ج٢ تحقيق مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البيان والتبيين (باب البيان) دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت هـ)، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥ م.

الشكعة، مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء والعرب، دار العالم للملايين، بيروت، د.ت.

عباس، احسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣ م.

عطية، عبد الرحمن، مع المكتبة العربية - دراسة في أمهات المصادر والمراجع المتصلة بالتراث، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، د.ت.

وقال أبو الزوائد الأعرابي: ^{٦٦}

عجوزٌ ترجى أن تكون فتية

وقد غارت العينان واحدودب الظهرُ

ترستُ إلى العطارِ ميرة أهلها

وهل يصلحُ العطارُ ما أفسد الدهرُ

وما راقى الأخضاب بكفها

وكحل بعينيها وأثابها الصفرُ

وجاءوا بها قبل المحاق بليلة

فكان مُحاقاً كله ذلك الشهرُ

ونجد في هذا الباب العديد من القصائد التي لم يعرف قائلها، ووردت في الحماسة البصرية تحت عنوان "وقال آخر، وهذا موجود في أغلب أبواب الحماسة البصرية، وهذا يدل على أن المصنف قد أراد أن يدل على القيمة الفنية الصرفة للشعر بغض النظر عن قائله" (البصري، د.ت) (باب مذمة النساء ق١٥، ق١٦، ق١٩، ق٢١، ق٢٢، ق٢٤، ج٢).

ومن الأبيات ما يسير مسيرة المثل، كما في الأبيات السابقة، وذلك بقوله في الشطر الثاني من البيت الثاني "وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر" ^{٦٧}

الخاتمة:

تعد "الحماسة البصرية" محاولة أدبية تحظى بالتقدير والبحث والاستقصاء من محاولات أدباء العربية وكتّابها، وهي من أشهر كتب الاختيارات ذات القيمة الأدبية والجمالية في تاريخ تراثنا الأدبي التي جاءت استكمالاً لجهود سابقى "البصري" كأبي تمام، والبحتري، والخالدين، وابن الشجري، وغيرهم.

ويجدر الإشارة بنا، إلى أن نتائج هذا البحث العميقة تواردت في ثناياه، وتكاد أن تكون كل صفحة من صفحاته احتوت على نتيجة وإضافة علمية أو أكثر.

٦٦- المرجع السابق، ص٢١٥.

٦٧- البصري، صدر الدين أبو الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩ هـ)، مقدمة الحماسة البصرية، ج١، ج٢ تحقيق مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص٢١٥.